

السؤال الثالث عشر: ما معنى قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لِرَبِّكُمْ عِزًّا وَجَلًّا فِي أَيَّامِ ذَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا)'. ما هذه النفحات؟ وكيف نتعرض لها؟

التعرض لنفحات الله هو التعرض لعطاءات الله، وعطاءات الله غير خيرات الله، فخيرات الله نأخذها بالحواس ويستفيد بها الجسم كالطعام والشراب، لكن عطاءات الله تنزل على القلب الذي صلح وانصلح وأصبح جاهزاً لنزول العطاءات من الله جل في علاه. ففي هذه الليالي تنزل عطاءات من الله، ومن هذه العطاءات أن ينزل الله في قلب المؤمن بالسكينة: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ) (٤الفتح).

أن يُنزل الله في قلبه الطمأنينة: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (٢٨الرعد)، أن يجعل الله عز وجل في قلبه نوراً يمشي به في الناس: (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي

١ معجم الطبراني عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه

النَّاسِ) (١٢٢ الأنعام)، أن يجعل الله له ميزاناً في قلبه يكشف به الطيب من الخبيث، والحسن من السيئ والحق من الباطل: (إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) (٢٩ الأنفال)، أو أن يأخذه الله عز وجل ويرفع عنه حجاب الران ويجعله ينظر بعين قلبه في ملكوت حضرة الرحمن.

قال ﷺ عن بعض ما رأى ليلة أُسري به: (فَلَمَّا نَزَلْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، نَظَرْتُ أَسْفَلَ مِنِّي، فَإِذَا أَنَا بِرَهْجٍ وَدُخَانٍ وَأَصْوَاتٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَذِهِ الشَّيَاطِينُ يُحْمُونَ عَلَى أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ أَنْ لَا يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَرَأَوْا الْعَجَائِبَ) ٢.

(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) (١٧٥ الأنعام).

أن يكرمه الله عز وجل فيجعله من أهل مقام الإحسان فيعبد الله عبادة فيها لذة وفيها خشية، يعبد الله كأنه يراه، وهذه عبادات الخاشعين الخاشعين لله عز وجل.

أو يكرمه الله عز وجل فيفتح له في قلبه عين يتلقى منها الإلهام المباشر من الله، فتجده مسدداً في القول، لا يقول قولاً إلا وهذا القول تجده صحيحاً فيما يحكيه ويرويه وفيما يتحدث فيه،

٢ مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

لأن الله عز وجلَّ يلهمه بهذا الحديث من عنده: (وَعَلَّمَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (١٦٥ الكهف).

أو يكرمه الله عز وجلَّ فيقرِّبه قرب قرابة من حبيب الله ومصطفاه، ويجعل سره متصلاً بأصله، فيرى السرَّ - سرَّ الوصول - وهو حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

وقد يكرمه الله عز وجلَّ فيفتح له آذان فؤاده فيسمع تسبيح الكائنات: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَنْ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) (٤٤ الإسراء) - لكن هناك إناس يفقهون!!، سيدي أحمد الرفاعي رحمه الله عندما اختاره خاله لخلافته، قالت له زوجته: لماذا تفضل ابن أختك على ابنك؟ وسأقت عليه كبار القوم، فأمر بإتيان الاثنين، وأعطى كل واحد منهما أمراً أن يذهب إلى الغابة ويحضر حملاً كبيراً من حشائش الغابة. فذهب ابنه وجاء بحمل ضخم في لحظات، واستمر الإمام أحمد الرفاعي ولم يأت!! فلما استبطأ أمرهم أن يذهبوا إليه ويطلبوه، فجاء وليس معه شيء، فقال له: لم تأت بما أمرتك به!! قال: يا سيدي، كلما هممت أن أقطع نبتة سمعتها تذكر الله عز وجلَّ فأستحي من الله عز وجل أن أقطعها وهي تذكره!!، فقال لمن حوله: هل عرفتم لم وضعت السرَّ هنا؟! هذا أعمى وهذا بصير، هل يصح أن يفود أعمى مبصرين؟! إن كان في هذا الزمان كذلك!، كما قال القائل:

إذا كان الغراب دليل قوم هوى بهم إلى وادي الخراب

فعطايا الله عز وجل لا تُعدُّ ولا تُحَدُّ، أشرنا إلى ذرة من هذه العطايا الإلهية التي يتعرض لها الصالحون، وذكر هذه العطايا لا يسعه وقت ولا تتحملة العقول، وإنما ينزل من المحبوب الأعظم عز وجل إلى قلوب الأحبة مباشرة بدون واسطة، نسأل الله عز وجل أن نكون من أهل هذه العطاءات أجمعين.

وتعرض لهذه العطاءات بتجهيز القلب: (إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (٨٩ الشعراء)، وقال الله في شأن الخليل إبراهيم: (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (٨٤ الصافات)

لا بد أن يكون القلب سليم من الحظوظ والأهواء، ومن الميل إلى الفاني وإلى الشهوات وإلى كل المستلذات والمستحسنتات، ويكون له ميل واحد في الله والله عز وجل، يكون كما قال الله في هذه الإشارة: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) هو الله فقط، (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ) أضله الله عن الناس والدنيا وما فيها من شهوات وملذات (عَلَى عِلْمٍ) بأن يراها، (وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ) فلا يسمع إلا من الله، (وَقَلْبِهِ) فلا يرى إلا نور الله المنبث في الكائنات.

فالمطلوب أن يكون الإنسان كما قال ﷺ: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ

حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ^٣ . ولذلك قال الرجل الصالح:

قد كان لي أهواء مفرقة فاستجمعت مذراتك العين أهوائي
تركنت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بذاتك يا ديني ودينائي

لا بد أن يجمع كل الهموم، قال ﷺ في ذلك: (مَنْ جَعَلَ
الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، كَفَاهُ اللَّهُ مَا هَمَّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)^٤ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

^٣ شرح السنة ومعجم السفر للسلفي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

^٤ الحاكم في المستدرک عن ابن عمر رضي الله عنهما.